الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف بميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

المثاقفة في رواية تحت سماء كوبنهاغن لـ: حوراء النداوي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):
- أسماء سعيود
- أحلام معالجي

إشراف الأستاذ(ة):
– بن سخري زبير

السنة الجامعية: **2016/2015**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــــة

تعتبر المثاقفة رافدا من روافد التي تعنى بالآداب القومية، وبالرغم من حداثة المصطلح إلا أنها عرفت تطورا ملحوظا، والمثاقفة الحقة من شأنها أن تتيح مجال البحث في الدراسات المقارنة هذا من جهة، وتمكننا الاستفادة من ثقافة الآخر من جهة أخرى فهي تبادل ثقافي بين الشعوب المختلفة.

وقد عنون بحثنا بالمثاقفة في رواية" **تحت سماء كوبنهاغن**" للكاتبة العراقية حوراء النداوي، ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع عبثا، وإنما كانت هناك جملة من الأسباب دفعتنا إلى هذا الاختيار أهمها رغبتنا كباحثين في معرفة المثاقفة أكثر والتوسع في مجالاتها وتعتبر هذه الرواية من أهم الأعمال الروائية التي تناولت ظاهرة التأثير والتأثر بين العالمين العربي والغربي .

وقد اتبعنا منهج المقارنة كما قسمنا بحثنا إلى خطة قوامها فصلين:

الفصل الأول: ويتضمن الجانب النظري وقد عنوناه بمفهوم المثاقفة وعلاقتها بالأدب وقسمناه إلى أربعة مباحث حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى المفهوم النظري للمثاقفة لغة واصطلاحا، أما المبحث الثاني فيتضمن علاقة المثاقفة بالأدب، والمبحث الثالث المثاقفة من منظور الهوية، أما المبحث الرابع فتناولنا فيه آلية المثاقفة.

أما **الفصل الثاني:** فيتضمن الجانب التطبيقي وقسمناه إلى ثلاث مباحث هي:

المبحث الأول المثاقفة بين اللغة العربية والدانماركية، أما المبحث الثاني تبادل العادات والتقاليد بين العائلة العربية والغربية، المبحث الثالث تشكيل الهوية الجديدة.

وفي الأخير أنهينا بحثنا بخاتمة ضمناها بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها.

كما استعنا في دراستنا بمجموعة من المصادر والمراجع لمساعدتنا وإثراء موضوع بحثنا، ذلك أن دراسة المثاقفة في الأدب المقارن ما تزال حقلا خصبا وقد واجهنا أثناء بحثنا هذا مجموعة من الصعوبات والعراقيل، صعوبة الحصول على المصادر والمراجع بالإضافة إلى ضيق الوقت.

وفي الأخير لا يسعنا سوى أن نتقدم بالشكر والعرفان للأستاذ المشرف **بن سخري زبير** على توجيهه لنا.

الفصـــــل الأول:

المثاقفـــــة وعلاقتها بالأدب المقارن

المبحث الأول: مفهوم المثاقفة

أ-لغـــــة

ب-اصطلاحا

المبحث الثاني: المثاقفة والأدب.

المبحث الثالث: المثاقفة من منظور الهوية.

المبحث الرابع: آليـــة المثاقفة.

تمهيد:

بدأ إحساس الأمم لمعرفة الغير يظهر بصفة جلية عندما تعدت النظرة الضيقة وفاقت هذه النظرة الحدود القومية لبلد ما فصارت هذه الأخيرة تبحث عن الجديد الآخر حتى يحدث إخصاب بين المكتسبات الثقافية والعلمية وحتى الاجتماعية ذلك رغبة في إثراء المنظومة المعرفية من كل جوانبها.

وعلى الرغم من الظروف والصعوبات التي كثيرا ما كانت مع ذلك التلاقح بين الشعوب من بعد المسافات وانعدام المواصلات وإبادة الحروب إلا أن ذلك لم يمنع الحواضر القديمة من طلب العلم والمعرفة والوقوف على المكتسبات البشرية والعكوف على نقلها وترجمتها، فالإنسان بطبعه شغوف ومتطلع للمعرفة، عرف ضرورة معرفة الآخر، وإدراك أهمية الاستفادة من ثقافات الغير على الرغم من تمسك هذه المجتمعات بتلك الثقافة وأعارها تاريخها وأصولها القديمة إلا أن ذلك التقوقع لم يدوم طويلا للانفتاح الذي عرفه العالم.

ومن المعلوم أن ليس هناك ثقافة بشرية نقية خلقت كاملة ومنتهية وفي الشكل الذي عليه ولاشك أن الثقافات البشرية تتطور وتتغير بفعل التفاعل والتلاقح والتأثر والتأثير بل من الصعب تصور احتمال التطور الذاتي لثقافة ما تعيش بمعزل عن الثقافات الأخرى.

ومن هذا الشكل من التواصل بين الثقافات هو ما يطلق عليه اليوم مصطلح المثاقفة (L'acculturation) والذي يعنى بدراسة مدى تفاعل الثقافات فيما بينها وتداخلها.

المبحث الأول: مفهوم المثاقفة

أ-لغة: المثاقفة دلالة حديثة وليست لها في لغتنا أصولا فيما عدا صحة صياغة الاتساق، فقد جاء في معجم تفسير القرآن (الثَقَفَ) الحذف في إدراك الشيء وفعله ومنه أستعير المثاقفة ورمح مثقف أي مقوم وما يَتَثَقَفُ به والثِقَافُ، ويقال ثقفتُ كذا، إذا أدركته ببصرك الحذف في النظر ثم يجوز به فيستعمل في الظفر والإدراك بسرعة " ٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ"* أي حيث ظفرتم به" فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ في ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ"** "ملْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً"***[1].

وجاء في القاموس المحيط" ثَقُفَ كُكَرُمَ، وفَرُحَ، ثَقْفًا وثَقَفًا وثقافة صار حادقا خفيفا فطنا فهو ثَقْفٌ...وثَقِفَه كسمعه صادفه أو أخذه أو أظفر به أو أدركه وامرأة ثِقافْ كسحاب فطنة وثقَّفَه تثْقِيفَا سواه، وثَاقَفَهُ فَثَقَفَهُ كنصره، غالبه فغلبه في الحذف"[2].

كما جاء في لسان العرب" ثقف الشيء ثِقَافَا وثُقوفهُ حَذْفُه، ورجل ثَقُفْ وثِقِف وثَقُفَ حاذق الفهم واتبعوه فقالوا ثَقُفَ لَقُفَ.... ويقال ثقِفَ الشيء وهو سرعة التعلم... وثَقُفَ الرجل ثقافة أي صار حاذقا حفيفا مثل ضخُمَ فهو ضخم ومنه المثاقفة"[3].

---

* سورة البقرة الآية 191.

** سورة الأنفال الآية 57.

*** سورة الأحزاب الآية 61.

[1]- سميح عاطف الزين: معجم تفسير ألفاظ القرآن، ط1، الدار الإفريقية العربية، لبنان(2001م، 1422هـ)، ص 159 160.

[2]- الفيروز أبادي: القاموس المحيط مادة (ثقف)، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان(1428هـ، 2008م)، ص715.

[3]- ابن منظور لسان العرب: مادة(ثقف)، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان(2000)، ص28.

وتدور معاني الكلمة في مجملها حول معنى: الحذف، سرعة الفهم، سرعة التعلم، الظفر الأخذ والتسوية.

ب-اصطلاحا: ينتمي مصطلح المثاقفة (L'acculturation) إلى الحقول الثقافية وعلم الإجتماع وقد اقترح من طرف أنثروبولوجيين أمركيين سنة 1880م، وتعرف على أنها "ظاهرة تأثير وتأثر الثقافات البشرية ببعضها البعض بفعل اتصال واقع فيما بينها أيا كانت طبيعته أو مدته، كما يدل على العمليات التي بمفعولها تتأثر ثقافة جماعة بشرية وتتكيف جزئيا أو كليا مع مكونات ثقافة جماعية بشرية أخرى توجد في حالة علاقة معها".

أو هي بمعنى آخر" نوع من رد فعل كيان ثقافي معين اتجاه تأثيرات وضغوط ثقافية تأتيه من خارجه وتمارس عليه مباشرة أو عن طريق غير مباشر علانية أو بكيفية خفية تدريجية إنها طريقة التفاعل والتكيف مع ثقافات الآخرين المغايرة، إما إراديا وإما اضطراريا، إما بكيفية واعية مقصودة وإما بكيفية لاشعورية تقبلية"[1].

وفي تعريف آخر هي " العملية التي تنتقل بها الثقافة من خلال اتصالات مستمرة مباشرة بين جماعات ذات ثقافات مختلفة"[2].

---

[1]– عبد الرزاق داوي : في الخطاب عن المثاقفة والهوية الثقافية، مجلة أيس فضاء العقل والحرية، العدد2، دار الصحافة القبة، الجزائر، السداسي الأول(2007)، ص13.

[2] – عماد عبد الغني: سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، شباط(2006)، ص310.

فالمثاقفة بهذا المعنى تعد رافدا مهما تسعى كل أمة من خلاله إلى معرفة الآخر والاستفادة مما لديه من قيم حضارية وإنسانية وفي الوقت نفسه تسعى إلى تنمية كيانها الثقافي مع المحافظة على مقومات الهوية القومية وثوابتها.

بهذا نجد العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمثقافة، علاقة غير واضحة تماما فالمعنى اللغوي لا يرتبط بالمعنى الاصطلاحي إلا في "الأخذ" و" الظفر" و" التسوية" لأن الثقافات تأخذ من بعضها البعض مختلف المعطيات والمكاسب الثقافية كل حسب طبيعتها فتسوي وتعدل وتكيف ما تراه قابلا للتعديل حتى تتوافق العناصر الجديدة مع بيئتها، كما تظفر بما تجده مفيدا حتى ينمي كيانها الثقافي.

ولا شك أن أهم التغيرات التي تطرأ على الكيانات الثقافية البشرية تفهم عن طريق المثاقفة، فمضمون هذا المصطلح يشير إلى واقعة غدت من قبيل المسلمات في التاريخ البشري، فليست هناك ثقافة أمة من أمم الدنيا عاشت منعزلة منفردة، لا في العصور القديمة ولا في العصور الحديثة" فالمثاقفة الواحدة عندما تكون وحيدة لا تستطيع أن تكون متفوقة على الإطلاق"[1]، فالثقافة المتوحدة ليس لها وجود فهي دائما في تآلف مع ثقافات أخرى، وليس ثمة مجتمع تراكمي بذاته ولذاته.وإن النكبة الوحيدة التي يمكن أن تحل بمجموعة بشرية تحول دون تحقيقها التام لطبيعتها، هي اضطرارها لأن تكون وحيدة منفردة، فالذي ينبغي إنقاذه هو التنوع بحد ذاته، لذا يجب أن نوقظ كل ما يختزله التاريخ من نزاعات نحو العيش المشترك[2].

---

[1]- كلود لفي شتراوس: الإناسة البنيانية، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة1995، ص71.

[2]- المصدر نفسه، ص80.

فليس ثمة حضارة تنهض وتزدهر دون أن يكون لها تماس وتفاعل مع الحضارات المجاورة والمعاصرة لأن حتمية التطورات الاجتماعية تلزم بقيام التداخل الثقافي، فثقافات الأمم لا تعرف الحدود السياسية ولا الحواجز الإقليمية وإنما لديها من قوة النفوذ أن تعبر الحدود السياسية بلا استئذان ومن غير جوازات سفر وإن كان قد وجد تعريف للمثاقفة فإننا لانجد له مصطلحا واحدا فقط ، فالمفهوم واحد ولكن التسميات عديدة فقد استعمل الإنجليز مصطلح التبادل الثقافي(Cultural exchange).

أما الإسبان فقد استعملوا مصطلح التحول الثقافي (Trans culturation)، في حين استعمل الغربيون مصطلح تداخل الحضارات (Interpénétration des civilisation)، إلا أن مصطلح المثاقفة أصبح أكثر تداولا وانتشارا كما يرى عدد من الدارسين.

وهذا الاختلاف نابع من كون المصطلح أضحى يجول وينتقل بين فروع معرفية مختلفة فنجده حاضرا في ميدان علم الاجتماع والأنثربولوجيا والسينما والأدب وغيرها من المجالات فمجالات المثاقفة واسعة وكثيرة، وهي تشمل أكثر القطاعات حساسية في حياة البشر ومنها الأفكار التي تصنع تصورات الإنسان كما تمتد إلى اللغات التي تحدد نفسها بما تستقبله من روافد ثقافية، وما يدخل عليها من ألفاظ ومصطلحات لتواصل امتدادها إلى الحياة الاجتماعية التي تتأثر بفعل المثاقفة فيتم تطعيم العادات والتقاليد والسلوكات المختلفة بما يستحسنه العقل من الوافد الجديد. وقد رافقت " المثاقفة" الإنسان منذ القديم وهذا ما نستشعره من خلال تصفحنا لتاريخ الأمم والثقافات التي تمدنا بأمثلة غنية بالعبر والدلالات على حدوث هذه الظاهرة، ففي القديم انتشرت الكثير من مظاهر الثقافة اليونانية في بلدان القارة الأسيوية وذلك نتيجة الغزوات

التي شنها الإسكندر الأكبر على العالم القديم الواقع في الشرق أما في العصر الوسيط فقد انتشرت معالم الثقافة العربية الإسلامية في مناطق شاسعة من العالم وفي العصر الحديث اكتست الكثير من مكونات الثقافة العربية أغلب الكيانات الثقافية في العالم تحت راية الاكتشاف، "أما فيما يتعلق بالعصر الحالي فقد بزغ عهد ازدهر فيه الخطاب عن الديمقراطية وحقوق الإنسان وفضائل التعددية الثقافية"[1].

المبحث الثاني:علاقة المثاقفة بالأدب:

عندما نتحدث عن المثاقفة التي تمت بين العرب والغرب نقترب أكثر من مقولة حوار الحضارات التي تمثلت خير تمثيل في الأدب، فالحوار يهدف إلى تبيان نقاط الالتقاء والاختلاف وتسعى إلى تذييلها ويقتضي وجود طرفين وفي الأدب يحتمل وجود أدبين من أمتين مختلفتين أو أكثر وبدافع الانتفاع يصبح الحوار ضمن تعاون الحضارات هادفا إلى دراسة الآداب المختلفة في علاقتها ببعضها البعض، والمشترك فيما بينها وتقريب المفاهيم ووجهات نظر وإضافة ما يمكن إضافته إلى المخزون الثقافي لكل أمة.

فالحوار يوضح صلات الوصل بين الشعوب وأدواتها ووسائل تلاقيها وتفاهمها وبالتالي يسهل البحث في المشكلات المتعلقة بالتأثيرات المتبادلة بين الآداب المختلفة[2].

والمثاقفة تمثل التفاعل بين الذات والآخر من أجل صياغة جديدة تعكس رؤية تطورية وحضارية للعالم تختزل واقع تعايش وتلاقح ثقافات مختلفة، تقوم على أساس الشراكة الضمنية

---

[1] – ينظر: عبد الرزاق داوي، المرجع السابق، ص14.

[2] – سالم المعوش: الأدب وحوار الحضارات(المنهج والمصطلح والنماذج)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 55، 59.

بين(الأنا)و(الآخر) بغية إنتاج معرفة موضوعية تهدف إلى الارتقاء بالإنسان وشروط حياته كما تعني التواصل الثقافي بين الأمم وهي تركز على احترام الثقافات الأخرى وعلى التأثر والتأثير بين الثقافات وقد نمتها دراسات الأدب العربي اعترافا بالتقاليد العربية الإسلامية في الثقافات الغربية[1].

من الضرورة الاهتمام بالحوار الأدبي لإعادة إنتاج حياة أكثر أمنا وتفاؤلا وازدهارا، لأنه يعوّل دائما على كشف الجوانب الإنسانية في الأدب الذي صنعته البشرية جيلا بعد جيل بغية جمعه وتقويمه وتقديم النافع والمفيد والبحث عن سبل تطويره وتعميم تجاربه، فيصبح الحوار الأدبي الحضاري نوعا من الدراسة التي تتكئ على مجمل اهتمامات الأدب من تاريخ ونقد وتنظير ودراسة آثار ونصوص، وبالتالي فهو جُزءًا مُهِمًا من الأدب الوطني والقومي في مسيرتهما الطويلة وفي إبراز الشخصية الوطنية وتفاعلها مع الآخرين، فهو يعمل على إبراز الشخصية القومية وإغنائها، بحيث يكشف عن الصفحات المهمة في تاريخ الأمة الأدبي كما يكشف عن أهميتها فهو يشرحها ويحللها ويقدمها لسواها من الآداب لدى الشعوب الأخرى بالإضافة إلى أنه يغني الأدب القومي لأنه ينشطه ويمده بدماء جديدة ويوسع من دائرة اهتمامه خصوصا في القضايا التي يعطيها الصدارة في البحث الأدبي والموضوعات التي يتناولها الأدب القومي" كما يدخل ألوانا جديدة من الأفكار والأساليب والأشكال والمعالجات مما يتيح له الفرصة في الاطلاع على الآداب الأخرى، ومعرفة مواد الحوار وسبل التفاعل مع الآخرين"[2]

---

[1]– ينظر: نصر محمد عارف: الحضارة الثقافية المدنية، دراسات لمسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي و.م أ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، سنة 1995، ص34.

[1] – سالم المعوش: المرجع السابق، ص 61–64.

كما يوحد الحوار الأدبي الحضاري التجربة الأدبية العالمية لأنه يدفع إلى التفاعل بين الشعوب ويُدينُهَا إبداعيا وفكريا ويوحد رؤاها ويردم الكثير من الهوَّاة فيما بينها.

إن التقارب والجهد المبذول من أجل التعاون بين الشعوب دفع العديد من الباحثين إلى اقتراح أسماء وعناوين للدراسات الأدبية، التي يكون هدفها تناول آثار الشعوب وإقامة مثل الحوار الأدبي الحضاري، انطلاقا من أن هذا الأمر يوحد الإنسانية ويجعل الأدب الصادر عنها يفيد البشرية جمعاء.

وقد تعددت التسميات في الأدب بغية إيجاد حوار أدبي حضاري بين الشعوب يتجه إلى توحيد التجربة الأدبية العالمية فقد استخدم غوتة مصطلح الأدب العالمي حيث كان يفكر في أدب عالمي موحد تختفي فيه الفروق بين أدب وآخر، فللحوار علاقة وثيقة بالعلوم الأدبية الأخرى، والمقصود بهذه العلوم تاريخ الأدب والنقد الأدبي وسواهما، من العلوم التي تدخل في جملة العوامل المساعدة في تطور الأدب وإغنائه، وبهذا يكون الحوار الأدبي الحضاري محورا أساسيا للالتقاء التاريخي والقيمي والفني وكاشفا رئيسا عن مصادر الأفكار ومجمل الإبداعات الإنسانية ليصل إلى الأدب القومي المؤثر في الآداب الأخرى باحثا في أثر أديب ما من قوم معين ومبينا أهميته لهذا القوم وللعالم كما يفرز ماهو دخيل وما هو أصيل بغية الوصول إلى منابع التلاقح وزمن وقوع الحوار الأدبي الحضاري. [1]

ولكي يتم التواصل بين ثقافتين يقتضي وجود تفاهم لغوي، فاللغة أداة لكل من الفكر والاتصال كما تعتبر أهم عنصر في بناء الإرث البشري والاجتماعي، وهي شكل من أشكال

[1]– سالم المعوش: المرجع السابق، ص 67– 81.

السلوك المتعلم المنقول وعلى الفرد أن يكتسب هذا الشكل بالطريقة ذاتها التي يكتسب بها أية مادة أخرى وبفضلها استطاع الناس أن ينقلوا الأفكار إلى بعضهم البعض.

وإذا كانت الثقافة البشرية مدينة للغة في ثروة محتواها فإن اللغة جزء لا يتجزأ من الثقافة،والثقافة بدون لغة هي ضرب من المحال وكلما صارت الثقافة أكثر تعقيدا ازدادت الحاجة إلى الاتصال لذلك فإن القدرة على التفكير الرمزي والمجرد هو ما تحتاج إليه اللغة، " فاللغة والقدرة على الاتصال بها تعتبران شرطا أساسيا وضروريا لأي مجتمع إنساني ولا يمكن تصور ثقافة بدونه فعن طريقه تمكن الإنسان من إبداع المعرفة وتكوين ما نسميه بالسلوك الثقافي ، وبالقدر نفسه فإن استخدام اللغة لا يعني قدرة الإنسان على الاستجابة إلى الرموز فقط. بل يعني كذلك قدرته على ابتكارها، وبالتالي يمكن القول أن الرمز هو الوحدة الأساسية للثقافة، فالعالم الثقافي الذي يدركه الإنسان هو عالم رمزي يعبر عنه بالرموز".[1]

كما ارتبطت اللغة بالأدب ارتباطا وثيقا فلا أدب من غير لغة لأنهما أمران متصلان بل متحدان ولا يمكن الحديث عن تطور أدبي ما لم يكن هناك تطور لغوي.

وما يميّز العصر، هو أن الثقافة أصبحت علما قائما بذاته يستوعب العلوم كلها لأن الطموح البشري يعول دائما على التكيف مع الجديد،"والجديد في زمن العولمة لم يغير في السياسة والاقتصاد وحسب بل تخطاه إلى الفكر والثقافة وأدخل الأدب في نوع جديد من التعبير في الأدوات ونمط الموضوعات وكيفية تناولها"[2].

---

[2]– عبد الغني عماد: المرجع السابق، ص 39– 40.

[1]– سالم المعوش:المرجع السابق، ص98– 99.

فرضت عملية المثاقفة تطورا ملحوظا في المناهج والمفاهيم وطرائق التحليل بشكل قد يراه البعض خضوعا للهيمنة الغربية وقد يحكم عليه آخرون بأنه عملية تثاقف ضروري إلى التمحور، وهو ما يفرض إعادة التطور في طبيعة العلاقة التي تربط الثقافة العربية بما هو موروث، وبما هو عالمي، أملا في تأسيس وعي تثاقفي منهجي إيجابي،" فثقافة الأمم لا يجب أن تقف عند حدود التراث ولا مناص من الاحتكاك بثقافات الشعوب الأخرى"[1].

"وقد شابت عملية المثاقفة تناقضات وتعقيدات كثيرة لأن علاقة الثقافة العربية الحديثة بالثقافة الغربية وعلاقة النقد العربي الحديث بالفكر النقدي الغربي كانت أحادية الجانب"[2]، أما في الأعوام الأخيرة فقد أخذ النقد الأدبي العربي يستجيب لتيار فكري معاصر ينطلق من ظاهرة التدخل الثقافي، ولعل أبرز سمة من سمات الاتجاه النقدي هو تركيزه على التمثيلات الأدبية للآخر وعلى ضرورة أن تكون محورا للدرس النقدي شرط أن يكون محصور في الآخر الأجنبي بل يتعداه إلى القومي واللغوي والديني فدراسة التمثيلات الأدبية المختلفة ومواجهتها بتمثيلات الذات تشكل منحى جديد في الدراسات وإسهاما قيما في حوار الثقافات[3].

إن النقد الأدبي العربي الحديث هو في الأصل ثمرة من ثمار التفاعل بين الثقافتين العربية والغربية ونتيجة لتفاعله مع حوار الحضارات أخذت اهتمامات هذا النقد تتغير كما أخذت دراسة علاقة الذات بالآخر تحتل موقعا مركزيا.

---

[2]– ينظر:محمود الربيعي: في حدود الأدب الهيمنة العامة لقصور الثقافة، ص 35.

[3]– ينظر: حسام الخطيب :مقالة مقترحات مبدئية باتجاه نظرية عربية في الأدب مجلة الموقف الأدبي سنة 1981، ص 15.

[3]– ينظر: عيدة عبود:الأدب وحوار الحضارات ، دمشق2003، ص25.

وقد حاول بعض النقاد العرب تجديد المناهج النقدية عن طريق اتصالهم الوثيق بالثقافة الغربية واطلاعهم على مناهج البحث الحديثة، وهذا ما أدى إلى ظهور نوع جديد من الدراسات النقدية المقارنة بين الأدبين العربي والغربي مستفيدا من تطور الأدب المقارن كان هدفها الرغبة في وضع الأدب العربي جنبا إلى جنب مع سائر آداب العالم من أجل اكتشاف الذات[1].

ويتم التواصل الإنساني في ميدان الأدب عن طريق سبل من بينها:

1-المطبوعات: تأتي في مقدمتها الكتب التي تعد وسيلة مهمة من وسائل انفتاح الأمم وتفاعلها وتداخلها، حيث تتنوع المعارف ويكون في بطونها مخزون معرفي يشكل دليلا مكتوبا على مدى الاستجابة بين أفكار الشعوب وثقافتها ويمكن أن تنقل هذه الكتب أمورا أساسية ومنها:

أ-**المعارف اللغوية:** والمقصود بها المعرفة اللغوية لأمة عن أمة أخرى وهي معرفة تقترن عادة بالتفسيرات والشروح توضح دلالات مفردات متنوعة في الأدب والاجتماع والسياسة والإدارة.

ب-الترجمة: وهي تعني دراسة الترجمات التي نقلت إلى لغات أخرى كما تبرز دور المترجمين وأثرهم في أدب غير أدبهم فقد يلاقي هؤلاء من الشهرة لدى أمم أخرى ما لم يلقوه في أمتهم، والترجمة وسيلة مهمة من وسائل الحوار الأدبي بين الشعوب وتكاد تكون العنصر الرئيسي فيه، بفضل ما تنقله من معارف دقيقة كما تعمل على نشر الأذواق الأدبية الخاصة والتيارات والأجناس والمذاهب والنظريات الأدبية من حضارة إلى أخرى.

---

[1]- ينظر: عبد العزيز الدسوقي: "تطور النقد العربي الحديث في مصر الهيمنة العامة للكتاب" القاهرة" سنة 1977م، ص 204.

ج-المجلات والصحف: فقد كانت على مر الزمان عنصرا رئيسيا من عناصر التواصل الأدبي الحضاري، وهي تلك التي تحوي دراسات نقدية حول أديب أو أكثر أو مرحلة تاريخية معينة أو اتجاه نقدي أو طريقة بحث.

2-الرحلات: التي يقوم بها الباحثون والكتاب والمفكرين والمبدعين وسواهم إلى مناطق أخرى من العالم[1].

إن كتب الرحالة تشكل رافدا أساسيا من روافد الأدب العالمي مما تقدمه من معلومات عن البلدان التي تتحدث عنها وتأتي أهمية نتائجها من كونها وثائق يعود إليها الدارسون.

3-**الجمعيات والأندية الأدبية والمؤتمرات:** ساهمت إسهاما كبيرا في حوار الحقل الأدبي الحضاري وهي التي تتشكل وتعقد فيه الاجتماعات وتقام فيها الحوارات والمناقشات من أجل بلورة نظرية أدبية، أو رأي أدبي معين، أو فكرة ما وقد تكون موضوعاتها من خارج نطاق الأمة وقد أدت دورا مهما في تثبيت أفكار أدبية معينة أو رفض شيء منها وقد تكون على شكل مجامع أدبية أو لغوية الهدف.

4-المسرح: هو من الوسائل الحوارية الأدبية الحضارية الناجحة التي احتلت مركز الريادة في الحوار، والمسرح يحتمل أمرين أساسين: ما يسمى بالأدب التمثيلي والأدب المسرحي ومنه المكتوب ومنه المؤدى وهو فن قديم عاش في بذوره الأولى في ضمائر الشعوب و ابتهالاتهم الدينية واحتفالاتهم العامة الشعبية والفلكلورية.

[1]- سالم المعوش: المرجع السابق، ص 105- 107.

وقد أسهمت الترجمة المسرحية في إفادة هذا الحوار الأدبي الحضاري فقد حملت النصوص إلى مختلف أصقاع العالم[1].

المبحث 3: المثاقفة من منظور الهوية:

تشكل المغايرة اختلافا الهويات الثقافية معطى موضوعيا لا يمكن تجاوزه ولا يجب تجاوزه لأنه أثر من آثار التاريخ ومرآة لأزمنته المختلفة، فلكل حضارة من الحضارات الإنسانية هوية خاصة بها بعيدة وعميقة الجذور، تملى على الشعوب عادات وقيما وتصورات، تؤمن لها شخصياتها الوطنية المختلفة ومثلما أن الطفل والد الرجل الذي سيكونه، كما يقول الشعراء الرومنسيون فإن ما مضى الشعوب هو ضمان وجودها ذلك أن العبث بهذا الماضي يفضي إلى دمار الطفل والرجل معا وعلى هذا فإن القضايا التي تثيرها المثاقفة لا تصدر عن المغايرة في ذاتها بل عن الموقف النظري والعملي منها، الذي تخالط فيه المعرفة المنفعة أحيانا، وتمتزج المنفعة بفلسفة التفاوت في أحيان أخرى.

يقول إدوارد سعيد إن مبدأ الهوية هو مبدأ سكوني أساسا يشكل لباب الفكر الثقافي خلال العهد الإمبريالي، إن الفكرة الوحيدة التي يكد يمسها التغير إطلاقا عبر التبادلات التي بدأت بانتظام قبل نصف ألف من الزمن بين الأوربيين وآخريهم هي أن ثمة شيئا جوهرانيا هو نحن وشيئا هو هم، وكل منهما مستقر تماما جلي مبين لذاته وشاهد على ذاته بشكل حصين منيع، وهو انقسام يعود تاريخيا كما ناقشه في الإستشراق إلى الفكر اليوناني عن البرابرة، لكن أيا كان من ابتكر هذا النوع من فكر الهوية، فإنه مع حلول القرن التاسع عشر

[1]–سالم المعوش: المرجع السابق، ص 110–113.

كان قد أصبح العلامة المائزة للثقافات الإمبريالية، إضافة إلى تلك الثقافات التي كانت تسعى إلى مقاومة التطاولات العدوانية الأوربية عليها[1].

وهذه الأخلاق إن تحققت تؤمن الحفاظ على استمرارية النوع البشري وتقدم له أسباب النمو والازدهار، فاحترام الإنسان والاعتراف به وجودا مستقلا لا يختزل إلى غيره كما احترام الشعوب المتبادل شرط لاحترام الإنسان لذاته وللآخرين ومتكأ لازم لتطور شخصيته وتفتحها ومرجع أساسي يمكنه من الرفض والقبول والاقتراح، إنَّ الاعتراف بالآخر ينهض به ويشعره بمسؤوليته إزاء الغير وبضرورة تحملها، ويعطي اعترافه بغيره مضمونا إيجابيا لأن قيمة الاعتراف من قيمة المرجع الذي جاء منه ينطوي الاعتراف بالآخر من حيث هو على اعتراف بحقه في القرار والمشاركة والمبادرة أي اعتراف بهويته الفاعلة التي تنفعل بغيرها من الهوايات المغايرة وتنفعل بها ولعل جدل الفعل والانفعال كما تقرره المثاقفة السوية هو في أساس التعددية الثقافية على المستوى الإنساني الذي ينسج كلا ثقافيا متآزر العناصر خصب الإمكانيات منفتحا على أفق إنساني متفائل فبقدر ما يقضي اغتصاب الثقافات إلى الصراع والمنازعة تبشر المثاقفة السوية بالسلم العالمي وتنفي الحروب، تقول بعض الاجتهادات في نظرية الرواية تستطيع الشخصية الروائية في التصور الحواري أن تعلم الروائي الذي أوجدها يمكن نقل التصور إلى مجال المثاقفة، والقول تستطيع الشعوب " إن تثاقفت أن تعلم التاريخ الواسع الذي جاءت منه وأن نتعلم منه في آن واحد"[2].

---

[1]–سعيد إدوارد: " الثقافة والإمبريالية"، 1997م، بيروت، دار الآداب ص 23.

[2]– عبد الرزاق داوي المرجع السابق، ص31.

المبحث الرابع: آلية المثـــــاقفة

يرى الباحثون أن المثاقفة من أبرز آليات حوار الثقافات والعلاقات المختلفة بين الشعوب والأمم، تلك العلاقات التي نشأت منذ أقدم العصور وأطلقت عليها مسميات عديدة مثل الأخذ النقل، المحاكاة، التقليد، التأثير والتأثر...إلى أن برز علم الأدب المقارن في القرن التاسع عشر ليهتم أكثر بعلاقة أدب أمة ما ببقية ميادين المعرفة الأخرى المختلفة، عنه لغة وثقافة والكشف عن الصلات والوسائط التي أسهمت في تلك المثاقفة لذلك عنى الأدب المقارن بدراسات الترجمة و الاستشراف والاستغراب وأدب الرحلات وصورة الآخر..." وأختزل هذا البحث الواسع في حقل واحد شامل أطلق عليه المثاقفة وأصبحت فرعا أساسيا في نظرته المقارنة بل يمكن أن تصبح نظرية المقارنة فرعا من فروع النقد أو حقلا مستقلا تمام الاستقلال"[1].

ويتحرك فضاء المثاقفة في العصر الحديث في فضاء يعمل لصالح الغرب بحيث لا يخرج عن المفهوم الغربي المتمركز على ذاته حين يجعلها تتم من جهة واحدة تختزل تعايش وتلاقح ثقافات مختلفة في ثقافة أورو أمريكية ترى نفسها مركزا يتحاور مع ثقافات هامشية وبدائية أي أن المثاقفة لا تحدث بين أمتين أو شعبين، وإنما تتمثل في علاقة غالب بمغلوب وقوي بضعيف" لذلك نجد مفهوما يعمل لصالح الغرب فهي تبادل ثقافي بين شعوب مختلفة وخاصة تعديلات تطرأ على ثقافة نتيجة احتكاكها بمجتمع أكثر تقدما"[2].

---

[2]–عز الدين المناصرة : مقدمة في نظرية المقارنة دار الكرمل للنشر الطبعة الأولى سنة الطبع 1977م، عمان ص 72.

[1]–المرجع نفسه، ص75.

ويرى مسعود عشوش:" أن المثاقفة هي عملية التغير أو التطور الثقافي الذي يطرأ حين تدخل جماعات من الناس أو شعوب بأكملها تنتمي إلى ثقافتين مختلفين في اتصال وتفاعل يترتب عليها حدوث تغيرات في الأنماط الثقافية السائدة في الجماعات كلها أو بعضها، وهي بعكس الغزو الثقافي إذا كانت توافقية حوارية، لأنها لا تحمل في طياتها الرغبة في إضعاف الآخر وجعله تابعا، ومعاملته بنظرة استعلائية، لا تقوم على الاحترام والتسامح والاعتراف بثقافة الآخر واختلافه، لأن الهدف الأسمى من المثاقفة الاعتناء المتبادل باعتبارها رائدا مهما تسعى كل أمة من خلاله إلى معرفة الآخر واستثمارها لديه من قيم ومعطيات إنسانية وإلى تنمية كيانها الثقافي بشكل خلاق وغير مضر بمقومات الهوية القومية وثوابتها، وقد تحمل معنى الغزو والثقافي إذا كانت موازين القوى غير متكافئة مما يحملها معاني الهيمنة والصدام والاجتثاث والاستئصال"[1].

ويقف عز الدين المناصرة عند جملة من التعريفات للمثاقفة ويقوم بتفكيك عناصرها ليستخلص منها ما يلي:

تتم المثاقفة بتوفر طرفين كذلك تتم بالقوة أو القبول وقد تحمل المثاقفة معنى التعالي عند طرف والدونية عند طرف آخر كما قد تحمل معنى الفترات الانتقالية أو معنى الاتصال والتواصل والتبادل الثقافي الإيجابي.

[2] – عشوش مسعود: المثاقفة أبرز آليات حوار الحضارات سنة الطبع 2009 الرياض ص 212.

تفيد المثاقفة معنى التأقلم مع ثقافة الآخر والاندماج فيه فيساعد ذلك في إضافة عناصر جديدة إلى ثقافة الآخر وقد تؤدي المثاقفة إلى الازدواجية في الشخصية حيث تبقى حائرة بين عناصر الهوية الأولى وبين العناصر الجديدة.

وقد يقتضي ذلك إلى رفض الثقافتين دون طرح البديل.

ونضيف إلى ذلك أن المثاقفة تنقسم إلى أنواع منها: المثاقفة التي تتم بالقبول وتسمى المثاقفة الحوارية ومنها ما يتم عن طريق الإجتثاث الطوعية أو المفروضة حيث لا تسود ثقافة ما ثقافة أخرى مثلما حصل في الوطن العربي إبان الاحتلال أثناء الحرب العالمية فسيطرت ثقافة الغالب على المغلوب وهكذا، لكن تبقى المثاقفة سوءا كانت ذلك وذاك قناة للتواصل والتبادل والاندماج الحضاري بين سائر الحضارات.

الفصـــل الثـــانـي تطبيقي:

المبحث الأول: المثاقفة بين اللغة العربية والدانماركية.

المبحث الثاني: تبادل العادات والتقاليد بين العائلة العربية والغربية.

المبحث الثالث: تشكيل الهوية الجديدة.

المبحث الأول: المثاقفة بين اللغة العربية والدانماركية:

لقد انتقلت الثقافة الدانماركية إلى العربية من خلال الترجمة، فمن خلال الرواية التي ترجمها **رافـد** من الدنماركية إلى العربية تعرفنا على عادات وتقاليد الدانماركيين، وتعرفنا على بعض خصوصياتهم. كأشكالهم من لون الشعر ولون العينين والأنوف المرفوعة في السماء، كما عرفتنا **هدى** على أن عاداتهم وتقاليدهم تختلف اختلافا واضحا عن عاداتنا وتقاليدنا؛ أطعمتهم ملابسهم، وحتى لغتهم ولهجاتهم لم تكن تمت بصلة إلى لغتنا ولهجاتنا العربية المختلفة وأسمائهم أيضا مختلفة عن الأسماء العربية **كريستينا** و**كلاوس** و**أندريا**.

" المثاقفة علاقة إنسانية حضارية تقوم على الاحترام والأخذ والعطاء في إطار الثقة، والرغبة في التواصل والتقدم والتطور واكتساب العلم والمعرفة، وتحقيق نقلة نوعية في حياة الأمم والمجتمعات والأفراد"[1].

إن البحث يقودنا إلى أن الفكر البشري كله يجري لمستقر واحد هو التواصل والتفاعل هذا التواصل الذي يتلى من خلال اللغة لا يتم عشوائيا بل يشتغل وفق أوليات التثاقف.

ويقترح التثاقف أولية مكملة وهي التكيف، والتكيف حالة تستقيم وتمثل المنقول عربيا أو استقامته في اللحظة التي يصبح فيها المصطلح الغربي عربيا. فالتكيف يعمل على خلق أو إنتاج وضع جديد من خلال الانسجام والتجانس.

" تعتمد المثاقفة على النقل وهو مسار حركتها التي نتجت عن خصوصية توليد المعرفة في جانبها البشري، فهي ترجمة للحوار الفاعل بين الحضارات، ونقصد بالنقل حركة الترجمة

[1]- مجلة اليوم: العدد 11021 ، أغسطس 2003 ، ص 05. www.alyaum.com

الرهيبة التي شهدتها الساحة النقدية، وهي حركة تعتمد التقريب لا التبعيد لإحداث التواصل المزعوم فهو تداول يشتغل على مساحة اللغة"[1].

يبدو أن الثقافة العربية أرادت النهوض في ظل معوقات أصبحت تشكل داخلها كعناصر خاصة بها، أبرزها أن هذه الثقافة تحمل في طياتها روافد فكرية أصبحت تشكل داخلها ثوابت كونتها الحمولة الفكرية.

[1]-مجلة مقاليد: العدد الثاني، ديسمبر 2011، ص 51. http://diae.net

المبحث الثاني: تبادل العادات والتقاليد بين العائلة العربية والغربية:

عاشت هذه العائلة العراقية حياة عادية كأي عائلة لاجئة من بلد عربي إلى بلد غربي، لم تكن تهتم كثيرا بالعادات والتقاليد حتى أن أم **هدى** لم تمنعها يوما من اللعب مع زملائها الدنماركيين ولا كانت تفرض عليها الكلام باللغة العربية حتى، بل كان والديها كما سردت لنا الأحداث يفرحان لتكلمها اللغة الدانماركية بفصاحة والعربية بركاكة، ولم يرغماها على إتقان لغتها الأم، كما لم ترغمها على إتباع التقاليد العربية. **وهدى** لم تشعر وهي في السنوات التسع الأولى بأنها غريبة عن هذا الوطن الذي ولدت وكبرت فيه وترعرعت بين شوارعه وأهله حتى أن أهله لم يعاملوها يوما على أساس أنها غريبة عن الدانمارك، فقد كانت تدرس في قسم أغلب طلابه أجانب وكانت تلعب معهم وتتسكع وتدرس مع هؤلاء الأجانب دون شعور بالغربة أو الوحدة، إلا بعض المناوشات التي تحدث عادة بين الأطفال والتلاميذ التي يحاولون بها عادة استفزاز بعضهم البعض إذا ما غضب أحدهم من الآخر حيث تقول في روايتها:" كنا حتى ذلك الحين في نظر أنفسنا متساويين، وإن لم يخل الأمر من بعض التعليقات أو الكلمات التي نحاول بها استفزاز بعضنا بعضا، إذا ما غضب بعضنا من بعض. غير أنها لم تصل قط إلى الحد الذي يجعلنا نشعر بعد متساوين... وبالتالي لم نفقد إجادتنا للعب مطلقا في طفولتنا"[1].

[1]– حوراء النداوي: رواية تحت سماء كوبنهاغن، دار الساقي، بيروت، 2010م، ص52.

"والإنسان بطبيعته يحتاج إلى الآخرين بحاجة إلى من حوله، كل بحسب اختصاصه ونجاحه مرهون بمدى استفادته من الدائرة التي أحدثها وإخفاقه يكون ونتيجة لسوء تعامله مع الآخرين"[1].

ولكن الأمر لم يدم على هذا الحال، فدوام الحال من المحال، فقد حل التغيير على هذه الأسرة بعدما انتقلت إحدى العائلات أو الأسر العراقية للسكن بجوار عائلة **هدى**، فهذا التغيير حمل معه ما تحمله التغيرات عادة معها، من إعادة النظر في أشياء ونبذ بعضها والتمسك بأخرى.

أما بالنسبة للدين فبيت هذه الأسرة العربية يكاد يخلو من الجو الروحاني، فالدين بالنسبة إليهم شيء ثانوي أما الصوم أي شهر رمضان فقد كانت **هدى** تعتبره عادة تختلف فيها عن الدانماركيين، ولم تكن تفكر فيه كواجب ديني مفروض على كل المسلمين في كل أنحاء العالم. ولذلك فإن التلقي والاستجابة لمثل هذه العادات الجديدة التي طرأت فجأة على هذه الأسرة فقد اختلف تقبله على كل من الأب والأم والابنة.

-**الأب:** استقبل التغيير الذي طرأ فجأة على تصرفات زوجته بدهشة دفعته إلى الاستسلام حيث تقول الرواية:" وفجأة ارتدت أمي الحجاب رمقها أبي بنظرة دهشة ثم خفض عينيه كأنه يستسلم".[2]

---

[1]- ينظر: سالم المعوش: المرجع السابق، ص 123.

[2]- رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص56.

-**الأم:** فرحت الأم لانتقال هذه الأسرة المسلمة إلى جوارها، لذلك لسببين السبب الأول: هو كون هذه العائلة عربية وهذا يعني أن الأم أصبح لديها من يؤنسها ويقلل من وحدتها، تقول:" وجدت أمي في ذلك الجو الحميم أمورا تفتقدها: الصحبة النسائية، والحديث المسترسل، والجو الروحاني المتقدم تقريبا عندنا، ما جعلها تحن إلى العودة مرة تلو الأخرى".[1]

ولعل هذا التأثير قد ظهر جليا في تصرفات الأم حيث أصبحت تخفف من زينتها؛ لأن النسوة اللواتي اجتمعت بهن في الحلقات التي كانت تقيمها العائلات العربية لم تكن تتزين، ثم بدأت بعد ذلك تضع شالا على رأسها أثناء خروجها من المنزل، وكانت في البداية تضعه وضعا عشوائيا لأنه كان يكشف نصف شعرها وكان ينحدر عنه أحيانا فلا تبدي أي جهد في إعادته على رأسها حيث تقول:" بل بات واضحا أنها تحاول قدر إمكانها الانسجام مع هذا الجو...فبدأت تخفف من زينتها، لا لشيء إلا لأن أولئك النساء لم يكن يتزين، ثم بدأت تضع شالا على رأسها عند خروجها من المنزل وكان ذلك الشال يكشف نصف شعرها ولا يخفى الكثير من زينتها، بل كانت تتركه أحيانا ينزلق من على رأسها فلا تبدي جهدا لإعادته"[2]، وهذه الأم لم تكتف بوضع الشال فقط ارتدت الحجاب، كما أصبحت تعاني في إبراز شخصيتها وذلك من خلال فرض الكثير منها على أولادها، على الرغم من أنها لم تفرض عليهم شيئا من قبل أو أي التزام ديني، وفي هذا تقول:" غير أن أمي لم تكتف بذلك،

---

[1]- رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص55.

[2]- المصدر نفسه، ص56.

فصارت تعاني في إظهار شخصيتها الجديدة، وتحاول فرض الكثير منها علينا، حتى أننا استغربنا حقا، إذ لم تفرض علينا أمي من قبل أي نوع من الالتزامات الدينية قط"[1].

كما أصبحت تعلق لوحات قرآنية في المنزل، وفرضت الزواج على ابنتها نخيل من أحد العرب، وارتداء الحجاب، فاستقبلت نخيل ذلك برحابة صدر.

-**البنت:** كل هذه التغيرات التي طرأت على العائلة أثرت على **هدى** بطريقة أو بأخرى، وخصوصا بعد أن فرضت عليها أمها ارتداء الحجاب، فهي حسب رأيها لم تكتف بهذا فقط، فقد ذهبت هذه الأم إلى المدرسة مع ابنها عماد، وافتعلت عدة مشاكل هناك خصوصا على نوعية الأكل وذلك بمراعاة الأكل الذي يجب أن يقدم إلى ابنتها تقول:" فلا ينبغي أن يقدموا لي اللحم أو لحم الخنزير"[2].

بالإضافة إلى المشكلة التي أقامتها مع معلمة السباحة حتى لا تجبرها المعلمة على ارتداء المايوه، حيث وفي هذا الصدد تقول **هدى:**" ثم أقامت مشكلة كبيرة مع معلمة السباحة كي لا تجبرني هذه الأخيرة على حضور الدرس وارتداء المايوه، رغم أني كنت أرتديه في السابق ولم يعترض أحد من أهلي على ارتداءه"[3].

وعلى ما يبدو أن هذا التغيير قد قلب حياة **هدى** رأسا على عقب؛ لأن الأم قد طلبت من معلمة الرياضة أن لا تدع ابنتها تستحم مع باقي زملائها بعد الانتهاء من درس الرياضة

---

[1]- رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص56.

[2]- المصدر نفسه، ص96.

[3]-المصدر نفسه،96.

في المدرسة،" ثم عادت أمي لتطلب من معلمة الرياضة أن تسمح لي بعدم الاستحمام بعد الدرس حتى لا أضطر إلى خلع ثيابي أمام زميلاتي".[1]

وتقول**هدى**:" باختصار حصل تغيير انقلابي في عاداتي كان كفيلا بأن يستغربه زملاء الدراسة ويجعل مني مرعى خصبا لسخريتهم، لاسيما وأنه جاء مفاجئا ولم يمهد له".

فهدى لم تكن تنوي التحجب لا لأنها لا تؤمن به ولا لأنها تريد أن تبقى حياتها كلها سافرة بدون حجاب، ولكن تفكيرها كان ينحصر في ردة فعل زملائها حيث أنها ستكون الوحيدة المرتدية للحجاب، فهي لا تريد أن تكون مختلفة كل الاختلاف عن المجتمع الذي ولدت فيه، وتربت في أحضانه، فبالرغم من كونها ذات أصول عراقية عربية، إلا أن الدانمارك هو مسقط رأسها، فالتمييز حسب رأي **هدى** غير محبذ في بيئة كالدانمارك، حيث تقول:" المشكلة في اختلافي! فالتميز غير محبذ في بيئة متوازية القواعد، وكان لا بد لغاية آمالي أن تكون حلما بعيد المنال، في أن أماثل أقراني في حياتهم"[2]، وارتداء الحجاب يعني التمييز فلو كان من يرتدي الحجاب في صف **هدى** لكانت قد ارتدته.

كما أن هذا التغيير الطارئ عليها جعلها تخجل من تصرفاتها التي كانت انسيابية إلى حياتها بطريقة غير متوقعة، فمثلا أصبحت تخجل عندما كانت المعلمة تحار في طعامها إذ ما ذهبوا في رحلة ما، كما أنها الوحيدة التي لا تحضر درس السباحة، ولا تستحم بعد درس الرياضة ولا تذهب في الرحلات التي يبيت فيها طلاب صفها خارج المنزل، فهي قد وصفت

---

[1]– رواية تحت سماء كوبنهاغن ، ص96.

[2]- المصدر نفسه، ص97.

الحالة التي آلت إليها بقولها:" بات الخجل من ملامح اختلافي يلجم نفسي عن الحياة بأسرها".[1]

وبالرغم من عدم تغيير طريقة لبسها بشكل لافت، ولم تزد قطعة القماش التي ترتديها فوق رأسها شيئا إلا أن هذه القطعة بالذات هي التي كانت سببا للمشاكل، مما دفعها إلى الانزواء، والانفراد، والانطواء، على حالها، تقول:" حملت اختلافي فوق رأسي وآثرت أن أبتعد وأنزوي، وعذاب تميزي يمتص من شخصيتي الكثير، وانطوائي يمتص منها أكثر، فضعفت هي الأخرى أكثر وأكثر "[2].

"إن حتمية التواصل الإنساني ليست جديدة على العالم، وقد أثبتت التجارب حاجة الشعوب إلى هذا التواصل كما عرفت نوعا من الاستقرار والرقي، حيث أخذت تبني فضاءاتها الحيوية قريبة من التعاون والمصلحة المشتركة في حياة سلمية هانئة ومنفعة إيجابية"[3].

---

[1]- رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص97.

[2]– المصدر نفسه، ص97.

[3]- ينظر: سالم المعوش: المرجع السابق، ص 100.

المبحث الثالث: تشكيل الهوية الجديدة:

هدى محمد الـ .. هذه الشخصية التي تنتمي إلى العراق بالاسم والنسب ولدت في كوبنهاغن لا شخصيتها ولا فكرها ولا ثقافتها عربية، ترعرعت في هذه المدينة فحملت مقوماتها، حتى لغتها دانماركية، لم تكن تحب لغتها الأم فقد غدت في النهاية شيئا مشوها فلا هي عربية المسقط، ولا هي دانماركية الأصل تقول وهي تخاطب أجدادها:" إن انتمائي إليكم لا يعدوالاسم والنسب، أما الشخصية والفكر والثقافة التي أحملها فتعد أشياء ذائبة غريبة عنها لتصبني في النهاية شيئا مشوها غير خالص أنا شخصيا لا أعرف السبب خلف كل هذا هل السبب تربيتي المضطربة أم شخصيتي المرتبكة أم نشأتي المختلفة؟"[1].

"يمكن القول أن الهوية الثقافية هي صورة مثالية تكونها جماعة بشرية معينة عن نفسها مقارنة بجماعات أخرى، وهذه الصورة هي السبيل إلى تعريف الذات من خلال تأكيد ما يميزها عن ذوات أخرى"[2].

وقد عانت هذه الفتاة من المجتمع الدانماركي لأن الاختلاف بينها وبين أبناءه بارز كل البروز، فبالرغم من نشأتها إلا أنها تبقى عراقية ذات جذور وملامح عربية، فهي مستهجنة حتى ولو حاولت الاندماج فيه بشتى الطرق، فملامحها تكشف أصلها وبيئتها حيث تقول:" فشكلي كان بحد ذاته ثورة على الاندماج، بشعري الأسود الفاحم، وعيني السوداوين اللتين تتوسطان انبساط سمرتي مع ذلك لم يسبب اختلافي أي نوع من المضايقة أو

---

[1]– رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص22.

[2]- ينظر: عبد الرزاق داوي: في الثقافة والخطاب حرب الثقافات(حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة) ط1، 2012م، ص 154.

الحساسية بيني وبين نفسي كنت أعيه لكني لم أكن أفكر فيه حد استشعاره، أو معرفة ماهيته، حتى أن غالبية أصدقاء الطفولة كانوا من الدانماركيين"[1].

" إن الشعور بالانتماء إلى هوية ثقافية معينة هو حاجة نفسية واجتماعية ضرورية لا غنى عنها بالنسبة إلى أي إنسان يعيش في هذا العالم"[2].

فبالرغم من ولادتها في كوبنهاغن وبالرغم من محاولة اندماجها مع الدانماركيين في الروضة والمدرسة والشارع، وبالرغم من عدم ميلها تكلم لغتها الأم، إلا أن أبناء هذا الوطن قد استهجنوا وجودها وعرقلوا اندماجها، لا أقول الكل إنما البعض وهذا كفيل بأن يؤثر عليها ويجعل حياتها مرتبكة مضطربة –نأخذ على سبيل المثال– **كلاوس** هذا الطفل الدانماركي ذو الشعر الأشقر والعينين الخضراوين والأنف الصغير المرفوع كعادة أنوف الدانماركيين الذي كان يردد دائما على مسامع **هدى**" جدتي تقول عندما تكبر لا تتزوج من السوداوات"[3]. هذا ما دفع **هدى** هذه الفتاة التي تبلغ من العمر 6 سنوات إلى البكاء لأنها لم يسبق لها أن ركزت على الفروق حيث تقول:" إذ لم يحدث أن ركزت في الفروق التي تشطرنا بعضنا عن بعض ولم يجمع خيالي الفتي إلى الزواج مطلقا فكيف حدث أن أدركت إقصاءه لي عن عالمه دون جهد بالغ لفهمه".[4]

---

[1]– رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص27.

[2] -المصدر نفسه، ص27

[3]–المصدر نفسه، ص27.

[4]- المصدر نفسه، ص28.

تقول **هدى:**" لم أعتد من نفسي ذاكرة قوية تلك التي تسترجع سهولة تفاصيل صغيرة لكن أن تكون التفصيلة الصغيرة هي إقصائي فذلك ما لم أتمكن من نسيانه بسهولة"[1]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل دلالة واضحة على العلاقة المضطربة التي كانت تعاني منها **هدى** مع بعض زملائها الذين أشعروها بأنها لا تنتمي إلى هذا المجتمع وحتى كتابتها لهذه الأسطر ثم تنسى ما حدث لها في صغرها، فالأطفال أبرياء لا ينتبهون إلى مثل هذه الفروق ولكن **كلاوس** وغيره رفضوا وجود هذه الفتاة بينهم وهذا ما جعلها تحس بأنها دخيلة لا تملك وطنا يحتضنها بحب فتشعر بالانتماء إليه.

" فهذا الانتماء هو الوسيلة الطبيعية لنمو الذات وإثباتها وتفتحها، إذ أن مثل الكائن البشري مثل شجرة ليس في استطاعته أن ينمو ويعيش حياة عادية إذ لم تكن له جذور ثقافيةعميقة وأصلية يتغذى منها"[2].

ولم تكن الملامح وحدها هي العائق الذي جعل **هدى** تحس بعدم الانتماء إلى الدانمارك، فالاسم أيضا لم يكن له علاقة بالأسماء الدانماركية ولا بالمعاني العراقية فحسب **ماروت** فإن الأسماء في العراق تكون متسلسلة تسلسلا يشكل في النهاية جملة توحي بنهج الأسرة، و**هدى** وإخوتها لم تكن أسماؤهم مترابطة ذلك الترابط الذي تنتهجه معظم الأسر العراقية تقول **هدى:**" عجيبة هي أسماؤنا إذ لا تنبئ بتوجه ما... فلا هي إسلامية لتبرهن على عمق تديننا، ولا

---

[1]– رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص28، 29.

[2]- ينظر: عبد الرزاق دواي: المرجع السابق، ص 154.

هي عربية قومية، تفضح تعنصرا معلن منا، ولا هي أجنبية دخيلة تفرضها على مجتمعنا معان منا في حداثة ممسرحة".[1]

والشيء الذي زاد من اضطراب حياة **هدى** هو الرحلة التي قادتها مع عائلتها إلى الشام وتعرفها على أصلها العربي برياح شرقية وعاداته ولهجاته، وقد اختارت الأم سوريا وبالضبط العاصمة دمشق لقربها من العراق المحرم إلى أجل غير مسمى، وكانت غاية الأم من هذه الزيارة هو تعريف ابنتيها على جذورهما الأصلية الصافية ذات الثقافة العربية المختلفة كل الاختلاف عن الثقافة الدانماركية المكتسبة تقول **هدى:**" شعرت منذ البداية أن يوم وصولي إلى دمشق هو يوم فاصل بين حياتين حياتي في الدانمارك، وحياتي القصيرة في الشرق"[2]، فهذا الشعور بالانتماء إلى هذا الوطن ترك في نفسها أثرا ايجابيا لأنه يختلف كل الاختلاف عن مسقط رأسها، حتى أحست بأنها ليست هي تقول:" أذهلني اختلاف كل شيء عما أعهده وأذهلني أني أنا نفسي اختلفت عني هناك".[3]

فرائحة هذه المدينة قد تسللت إلى أعماقها عن طريق أنفها، فبدأت تقارن بينها وبين رائحة كوبنهاغن تقول:" غفوت على رائحة المدينة الهادئة فجرا تنفذ إلى أنفي، كوبنهاغن رائحتها طفيفة، لا تنخر الأنف مثلما تفعل روائح المدن الشرقية...وأنا اكتشفت في طفولتي الدمشقية رغبة عارمة في استنشاق روائح متفرعنة".[4]

---

[1]- رواية تحت سماء كوبنهاغن ، ص 30.

[2]-المصدر نفسه ، ص 31.

[3]–المصدر نفسه ، ص، 31.

[4]–المصدر نفسه، ص31، 32.

" تصبح القضية أكثر عمقا لدى تحديد انتماء المهاجر إلا أنها تبقى قائمة، فمشكلة الانتماء عند الآباء ضياع الهوية وحياة على هامش الحياتين الشرقية والغربية وفقدنا الخصوصية الحضارية، بما فيها التاريخ والعلم واللغة والأرض."[1]

فشعور **هدى** كغيرها من اللاجئين إلى باقي أوطان العالم وحنينهم إلى وطنهم الحقيقي؛ لم يكن كشعور السواح الذين يسافرون من أجل اكتشاف معالم وآثار وحضارات باقي البلدان والتفسح والتجول لقضاء الإجازات والعطل، لا فهي لم تكن تحس بهذا الإحساس لم تشعر بأنها سائحة أو زائرة، وإنما شعورها كان مختلفا إذ لم تحس بالغربة وإنما أحست وكأنها في بيتها بين أهلها وأجدادها تقول:" ثم إن التقائي بجذوري الشرقية لأول مرة جعل ذاكرتي تميز تلك الأيام عن غيرها، لم يكن إحساسي إحساس سائحة، ولم يكن لدي فضول المشاهدة إذ لم أكن أشعر بغربة.

كنت أشعر بأني ألتقي... فقط ألتقي

وجوه الناس المتعبة لم تبدو غريبة عني، والأماكن كنت أكاد أعرفها لدرجة خيّل إليّ فيها أني لو تهت من بين أيدي والدي لعدت إليهما"[2].

[1]- ينظر: سالم المعوش: المرجع السابق، ص 168.

[2]– رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص33.

"وتقوم علاقة الثقافة بالهوية على الطبيعة ودور كل منهما في حياة الإنسان وعلى التأثير المتبادل بينهما، فالهوية تدل وتعبر عن ماهية وحقيقة الكائن إنسانيا، كما تحدد الخصائص التي تميزه عن غيره".[1]

هذا البلد بعروبته وبساطة أبنائه، بلهجته العربية، وروائحه الطيبة الندية، وهوائه النقي المنعش بنقاوة أهله وسكانه بعذوبة ألحانه وجمال صوره، رسخ في ذهن **هدى** الفتاة المغتربة المضطربة، فجعل منها فتاة ذات شخصية أخرى مختلفتان ولكن بينهما قرابة، لم تعرفها **هدى** ربما هي قرابة الانتماء تقول في روايتها:" ثم بدأت رحلتي تلك التي استمرت قرابة شهرين ذهلت حقا كم أني اختلفت عن أثناءها، ومازلت حين استذكر بعض الصور التي تقبع في زاوية صغيرة مهملة من ذاكرتي عن دمشق أشعر أن التي في مخيلتي لست أنا؛ وأعجب الآن كيف أمكن أن يكون لي صلة بهذه الطفلة، صلة قرابة قوية، قوية جدا إلى الدرجة التي تكون فيها...أنا".[2]

ولعل الذي ترسخ في ذهن **هدى** أكثر هو اللهجة التي كان يتكلم بها أبناء وطنها؛ فعند سماعها أحد السوريين يتكلم باللهجة السورية اندهشت وقالت لأبيها:" بابا هذا يتكلم عراقي"[3]، ولكن الأب نبهها إلى أمر كانت تجهله وهو أن:" العرب يتحدثون لغة واحدة لكن بلهجات مختلفة" فهذا الرجل لا يزال يتكلم بلهجته السورية، وما كان من **هدى** إلا أن

---

[1]–ينظر: عبد الرزاق داوي: المرجع السابق، ص154.

[2]–رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص32.

[3]- المصدر نفسه، ص33.

استغربت الأمر بسؤالها كيف يكون هذا فوضح أبوها لها ذلك بقوله:" إنه كالفرق بين الدانماركية والسويدية أو النرويجية" [1].

"مشكلة الانتماء لدى العربي المنسلخ من أرضه والمزروع في أرض سواء تزداد وتتفاقم؛ عندما تصبح العروبة مصدر إزعاج لهم ومهما بذل الآباء من جهد للاحتفاظ بشرقيتهم، فإن التيار جارف والغرب يبتلع كل لحظة ما لديهم من تقاليد طيبة وعادات يفخر الآباء بها".[2]

صحيح أن هذه الرحلة إلى البلاد العربية قد عرفتها على جذورها وعاداتها وتقاليدها وثقافتها الأصلية، إلا أن هذا الأمر قد يكون هو السبب الرئيسي في تشويه هذه الشخصية(**هدى**) فتمنيها لوطن مثل العراق يحتضنها أمر من المستحيل أن يتحقق، لأنه صعب المنال وذلك لظروف سياسية، وتكلمها اللغة الأم وممارسة العادات والتقاليد في وطن مثل الدانمارك أمرا مستبعدا أيضا وهو أمر مستهجن، فمثل هذه العادات لا يتقبلها وطن أجنبي له عاداته وتقاليده أيضا فقدت شخصية **هدى** مشوهة تقول:" رحلتي تلك تقلبني من حياة إلى أخرى، وأرّخت طفولتي رتيبة الإيقاع بما قبل دمشق وما بعدها.

أحيانا يخيّل إليّ أنها كانت السبب في جعل شخصيتي على ما هي عليه الآن، لقد أثرت فيَّ تأثيرا امتصته شخصيتي الطفلة بسهولة وسرعة، ولولاها لما كنت عرفت كيف يبدو

[1]- رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص 34.
[2]- ينظر: سالم المعوش: المرجع السابق، ص 169.

أصلي خالصا، ولولاها كنت تركت نفسي لحياتي المهجنة، تلك المزدوجة التي أراها على محيا أقراني من المهاجرين الذين تربوا هنا فتَمَيَّعت شخصياتهم في فوضى مرتبة"[1].

"إذا كان الآباء قد أصبحوا هجناء في تلك الأرض، والأبناء نسوا تماما أرضهم فمن الصعب أن يجد الأحفاد حوارا في هذه الأرض الجديدة"[2].

عادت **هدى** من جديد إلى كوبنهاغن والذكريات تملأ رأسها الصغير وكأنها نسيت روحها أو ذاتها في أحد شوارع دمشق، فحنينها إلى وطنها بقي يباغتها من حين إلى آخر رغم محاولاتها العديدة من أجل نسيانه تقول:" لقد تعمدت بغباء تناسي سوريا والفترة القصيرة في دمشق ما إن وطئت قدماي أرض كوبنهاغن"[3]، ولكن محاولاتها باءت بالفشل فكلما حاولت محو هذه الذكريات من رأسها كلما زاد تشبتها بها أكثر وأكثر، تقول:" أشّم رائحتها في بخور أمي العربي... ثم أراها في أحد شوارع كوبنهاغن فأشعر فجأة بأن هذا الشارع يشبه شارعا ما هناك، غير متأكدة أهي ذاكرتي أم مخيلتي التي ربطت بين الشارعين...وعبق شرقي فائض يملأ، كأن الشرق كله صار في صدري، فتستيقظ تلك الموؤدة في داخلي وتململ".[4]

فرائحة الأوطان لها رائحتها المميزة، ومهما نشأ الإنسان وتربى وترعرع وكبر في أحضان بلد آخر فسيبقى حنينه إلى وطنه يملأ صدره حتى ولو تجاهل ذلك. فالإنسان البعيد

---

[1]– رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص34.

[2]- ينظر: سالم المعوش: المرجع السابق، ص 165.

[3]– رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص35.

[4]– المصدر نفسه، ص35.

عن وطنه يبقى غريبا في أوطان غيره حتى ولو عامله أبناء تلك الأرض أحسن معاملة فبالرغم من كون **هدى** قد أحبت كوبنهاغن إلا أن هذه الرحلة قد تركت في نفسها أثرا بالغا غيّر مجرى حياتها، فأصبحت معقدة مشوهة ومضطربة، تقول:" لعل حياتي تعد بسيطة وطبيعية من وجهة نظر المهاجرين من أمثالي... ومعقدة غير سوية في عيون المستقرين في أوطانهم"[1].

فهدى منذ السنين الأولى التي وعت عليها كانت تعرف بأنها أجنبية، وأن كوبنهاغن هو البلد الذي آواها هي وغيرها من اللاجئين أمثالها، فتقلبت هذه الفكرة –كونها أجنبية– تقول:" وأنا تقلبت فكرة أجنبيتي مثلي مثل غيري، دون أن أناقشها، حتى لم يعد بإمكاني أن أكون غير ذلك الأجنبية".

في بعض الأحيان المجتمع هو الذي يضع الإنسان في قالب معين، وهو الذي يضع الشخصيات القوية منها أو الضعيفة، وعندما نقول المجتمع يتبادر إلى أذهاننا مباشرة المدرسة، الحي، وهذا الأخير يتكون من مجموعة من الأسر التي تتكون بدورها من مجموعة من الأفراد، يشكلون مجتمعا ما، ولعل أقرب الأسر إلى بعضها الأهل والأقارب. ومجتمعاتنا سواء العربية أو الغربية تقدس علاقة الجار بالجار، وديننا الحنيف قد أوصى بالإحسان إلى الجار حيث يقول عليه الصلاة والسلام:" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره".

[1]– رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص 36.

خصوصا إذا كان هذا الجار من نفس البلد أو من بلد غريب، وعائلة **هدى** قد فرحت فرحا شديدا عندما انتقلت إحدى الأسر العربية للعيش بجوارهم، فرحبوا بهم أحسن ترحاب، وكانت أم **هدى** تزور هذه العائلة من أجل الصحبة التي تفتقدها وكذلك كون العائلة مسلمة فاغتنمت الأم هذه الفرصة وغيرت من حالها وأبنائها، وكذلك من أجل زرع مبادئ الدين الإسلامي وتحسين أوضاعها الروحانية، فأصبحت ملتزمة ببعض العبادات كارتداء الحجاب وحث بناتها على ارتداءه، وكذا حث ابنتها على اللعب مع ابنة الأسرة كون سن هذه الفتاة **فاطمة** يماثل سن **هدى**.

لم تعترض **هدى** على هذا القرار فهذه الفتاة بريئة ووفية لقرارات أمها إلى درجة أن أسماها أخوها بالكلب الوفي لأمها، ولكن حدث ما لم يكن متوقعا، وكأن **هدى** منبوذة فقد نبذت لأول مرة من طرف **كلاوس** ابن الدانمارك، حيث تقول:"ذلك الصغير الذي رفض اللعب معي لأنني –كما نعتني حينها– سوداء... كم هو سهل أن يطلق الدانماركيون مثل هذا التعبير على الأجانب، حتى أولئك الذين يماثلونهم بياضا"[1].

وهاهي الآن إحدى الأسر العراقية ترفضها وتنبذها حينما طردها والد **فاطمة** من بيته وتنبيهه لابنته بعدم اللعب معها عندما رآها تقف مع **هدى**، وهذه الأخيرة كانت واقفة تتحدث إلى **كريستينا وأندريا**، حيث كانت والدتهما مستلقية في فسحة خضراء وهي شبه عارية ونعت **هدى** وعائلتها بقوله:" إنها شر من الدانماركيات إذ كان هؤلاء أهلها، أب سكير

[1]– رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص74.

وأخت ساقطة، وأخ عابث أقطع ذراعي إن لم يكن بعثيا"[1]، لتردف الأم كلامها موبخة ابنتها واصفة عائلة **هدى** بكلام جارح سمعته **هدى** التي كانت تقف بدون قصد أمام الحائط الخشبي بعد أن طردها والد **فاطمة**، حيث تقول الأم أم **فاطمة**:" ألم تر كيف وقفت تتحدث بوقاحة مع الدانماركيتين بينما تستلقي تلك العارية ...أهلها لا يربونها، إنهم يخلفون ويتركون أطفالهم للدانماركيين ليربوهم لهم بدل أن يكلفوا أنفسهم عناء تربيتهم".[2]

ركضت **هدى** إلى بيتها وهي تشعر بالإهانة الموجهة إليها والى عائلتها تقول:" عدت إلى بيتنا، والإهانة تضع كفا في كفي وتعد ومعي... اندفعت بسرعة غير عابئة بأمي التي نادتني ما إن رأتني... صعدت إلى فوق ودخلت الحمام ثم أقفلت الباب ورائي".[3]

لم تكن **هدى** تريد أن تحسس أمها بشيء وفضلت أن تكتم جرحها بداخلها، فضلت أن تبقي هذا الألم سرا، وتبكي حظها العاثر مع قلبها المحروق من القهر لأنها قد نبذت للمرة الثانية تقول:" بقيت أدور في الحمام مثل فرخ تائه وصوتي يعلو مع كل شهقة بكاء أصدرها خفت أن تسمعني أمي فأمسكت بمنشفة ودفنت رأسي لأدفن بالأحرى صوتي...وتشَيُّجي يعلو بحرقة وقد اختلطت دموعي بعرق الصيف الذي أغرق وجهي المختنق، فصار وجهي كله يلسعني وجوف حلقي يؤلمني من كتم بكائي".[4]

---

[1]– رواية تحت سماء كوبنهاغن ، ص73.

[2]– المصدر نفسه، ص73.

[3]- المصدر نفسه، ص74.

[4]– المصدر نفسه، ص74.

قد يتقبل الإنسان أن ينبذ من أجنبي، ولكن أن تنبذ من دمه ومن أهل عروبته، فهذا أمر يجعل الشخص يتمنى الموت على أن تحدث له مثل هذه الأمور. والبكاء لن يداوي الجروح وإنما يزيد من لهيبها، وخصوصا الذي تكون فيه لوحدك مع صوت أنفاسك المحروقة، وقلبك الجريح المنكسر من ألم هذه الوحدة القاتلة والغربة في حد ذاتها موجعة موحشة، **وهدى** نبذت من طرف **كلاوس** لترفض في المرة الثانية من عائلة **فاطمة** تقول وزفرات الألم تخنقها:" لم أفهم الحقيقة التي انطوت على ما حدث حينها والشيء الوحيد الذي وعاه عقلي، عقل فتاة في الثانية عشر، هو أني أرفض للمرة الثانية في حياتي... رفضني كل من اعتقدت بأنني أنتمي إليه فإذا كنت أنتمي إلى الدانمارك فلقد رفضني مسبقا، وإذا كان انتمائي إلى العراق فهاهو الآخر يلقطني بقسوة أكبر، كلاهما لا يحبذني، فلست ذات أهمية قصوى تبعث على الاستزادة مني".[1]

فلعل هذه الأسباب المذكورة هي بعض العوائق التي جعلت **هدى** تحس بالغربة أكثر فأكثر وذلك نشأت بشخصية مضطربة معاقة، تقول:" كان لا بد أن تمر سنوات كثيرة لأعرف أن اغترابي يعد عوقا، ولدت به وتأقلمت معه دون أن أعرف لذة انعدامه، لم أكن طبيعية، لكنني أيضا لم أكن أعرف أني لست طبيعية... مثل أعمى ولد لا يدري ما تعنيه حاسة النظر، ولم يسمع عنها قبل أن يبدوا بتهيئته للتواصل بطريقة فريدة، تخص من هم مثلهم فقط".[2]

---

[1]– رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص75.

[2]– المصدر نفسه، ص89.

والذي ساهم في زيادة عاهة **هدى** وإعاقة غربتها هو محيطها الذي نشأت فيه، تقول:"أنا أيضا هيئوني... كلهم فعلوا ذلك البيت، المدرسة، الشارع، الدانماركيون، الجالية الأجنبية، الجالية العربية، الجالية العراقية...كلهم ساعدوا في تهيئتي على التواصل وفق عاهتي... وتعلمت بسرعة.

لكنني بقيت لا أدري ما يعنيه أن أرى الدنيا دون إعاقة الغربة".[1]

ومابين نهاية التسعينات وبداية الألفية فرق شاسع نظرا للتغيير الذي طرأ على عائلة **هدى** وهنا تظهر الهوية الجديدة بين عائلة **هدى** قبل أن تسكن الأسرة العراقية بجوارها وعائلة **هدى** بعد المجاورة، تقول **هدى**:" لا أعرف لما بالضبط لكني أفسر الأمر بأن أمي كانت تماشي الموضة الاجتماعية السائدة... فإذا كانت سبعينيات القرن الماضي وبداية الألفية الثانية هي موضة الالتزام الديني بلا أدنى شك".[2]

حسب اعتراف **هدى** فإن أسرتها لم تكن ذات التزام ديني أو بعد روحي، أمها كانت تمارس بعض الشعائر كالصلاة والصوم خلسة وكأنها تخجل من ممارستها أمام أبنائها، أبوها وأخوها لم يكن يصليان، الفتاتان لم تكن ترتديان للحجاب.

هدى تدرس في مدرسة جل طلابها أجانب وكانت تمارس جميع النشاطات التي يمارسها زملائها في صفها، كممارسة السباحة، والرياضة، والرحلات التي يبيت فيها الطلاب خارج منازلهم، إن أسرتها لم تعترض يوما على نوعية الطعام خارج منازلهم، حتى أن أسرتها

(1)- رواية تحت سماء كوبنهاغن، ص89.

(2)- المصدر نفسه، ص91.

لم تعترض يوما على نوعية الطعام التي يقدم لابنتها، كما كانت تسمح هذه العائلة **لهدى** بالاستحمام في المدرسة بعد نشاط الرياضة كما كانت تلعب مع الدانماركيين بعد الدوام المدرسي باختصار هذه هي حياة **هدى** وعلاقتها بذاتها ومحيطها، تنقلب كل الموازين بصورة مفاجئة بعد أن أتت عائلة عراقية كما سلف الذكر للسكن بجوار عائلة **هدى**، هنا يحدث التنافر بين الهوية القديمة والهوية الجديدة، وهل تقبل المجتمع الدانماركي الذي له عاداته وتقاليده ابتداء من المدرسة ووصولا إلى الشارع **هدى** الجديدة بثقافتها الأصلية وبعاداتها العربية الإسلامية؟ أم رفضها رفضا قطعيا فأثر في علاقتها بذاتها ومحيطها؟ **هدى** منبوذة أصلا من هذا المجتمع الذي أتعبها وأرّقها وشوّه شخصيتها وإعاقة الغربة زادت من ألمها وحنينها إلى الوطن يحتضنها يمخر جسدها ويكوي قلبها، وزيادة على كل هذا فالتغيير المفاجئ الذي تسلل بطريقة غير متوقعة إلى حياتها أثر تأثيرا غير مجرى حياتها، فبعد أن ارتدت **هدى** الحجاب أصبحت محط استغراب وسخرية زملائها لها، وهذا ما زاد الطين بلة تقول: "باختصار حصل تغييرا انقلابي في عاداتي كان كفيلا بأن يستغربه زملاء الدراسة ويجعل مني مرعى خصبا لسخريتهم، لاسيما وأنه جاء مفاجئا ولم يمهد له". فقطعة القماش التي تسمى " الايشارب" جعلت من **هدى** فتاة مستهجنة ومختلفة عن باقي زملائها في الصف فهي لم تكن تريد أن تكون مختلفة عن هذا المجتمع، ولكن لكل عاداته وتقاليدهفإن كان دين الدانماركيين لا يفرض على فتياته الحجاب، فإن الإسلام يفرض على النساء ستر الشعر والرقبة وما إلى ذلك، وهنا كان الاختلاف واضح بين **هدى** ومجتمعها الدانماركيوكان لكل هذا أثر سلبي في نفسية**هدى**؛ لأنها تكره التحجب ولكن المجتمع يفرض ذلك، والتغيير

لم يكن في قطعة القماش هذه فقط، بل تعدى ذلك إلى بعض النشاطات حيث أصبحت لا تمارس السباحة ولا تستحم بعد درس الرياضة، ولا تذهب في الرحلات التي يبيت فيها الطلاب خارج منازلهم، ولا تأكل من الطعام الذي يأكله زملاؤها.

" يمكن وصف المهجر بالمنفى تارة، وتجربة إنسانية تارة أخرى عززت أشكال المثاقفة مع الآخر، ومكنت العقول العربية من إقامة تماس حقيقي مع الثقافات المتنوعة، وجسرا حضاريا رسم معالم ثقافة منفتحة على الآخر محترمة لخصوصياته".[1]

التغيير كان جذريا وكأنه وحش انفض على فريسته فجأة، **وهدى** كانت ضحية هذا الوحش الذي يسمى بالعادات والتقاليد في وطن يرفضها ويستهجنها ولهذا وقع سلبي على ذات **هدى**.

[1]- مجلة العربي: العدد 15975، 20 مارس، 2012م، ص8. www.alriyadh.com

خـــاتمـــة

إن المتتبع لتاريخ البشرية عبر العصور يجد أن الثقافات تلاحقت وامتزجت مع بعضها البعض وكان ذلك بعدة طرق منها الحروب والتجارة وكذلك الحوار، وأسهمت العوامل الجغرافية إسهاما كبيرا في انتشار مفهوم المثاقفة الذي يعني هذا المصطلح بالتبادل الثقافي بين شعوب الشرق والغرب في شتى المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية.

ولقد رأينا في بحثنا هذا كيف انتقلت الثقافة العربية والإسلامية في شتى أنحاء العالم.

وقد استخلصنا جملة من النتائج أهمها:

-المثاقفة هي ظاهرة تأثير وتأثر الثقافات البشرية ببعضها البعض بفعل اتصال واقع فيما بينها.

-المثاقفة الحقة لا تتم إلا عن طريق الحوار بين العرب والغرب، فالحوار يوضح صلات الوصل بين الشعوب، والمثاقفة تمثل التفاعل بين الذات والآخر.

-التواصل الإنساني في ميدان الأدب يتم عن طريق المطبوعات والمعارف اللغوية والترجمة والمجلات والصحف.

-المثاقفة هي أبرز آليات حوار الثقافات والعلاقات بين الأمم والتي يطلق على هذه العلاقة مسميات عديدة منها التقليد، المحاكاة، التأثير والتأثر.

-المثاقفة لها صلة وثيقة بتاريخ الأمم والشعوب وكانت وسيلة في التلاقي والاندماج فيما بينهم.

وفي الأخير نرجو أن تكون نتائجنا مشتملة على شيء من الصواب وأن نكون ألممنا بجوانب البحث ونسأل الله التوفيق.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

القـــرآن الكـــريم: برواية حفص عن عاصم.

المصادر:

1. حوراء النداوي: رواية تحت سماء كوبنهاغن، دار الساقي، بيروت، 2010م.

المراجع:

2. حسام الخطيب :مقالة مقترحات مبدئية باتجاه نظرية عربية في الأدب مجلة الموقف الأدبي سنة 1981.
3. سالم المعوش: الأدب وحوار الحضارات(المنهج والمصطلح والنماذج)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
4. سميح عاطف الزين: معجم تفسير ألفاظ القرآن، ط1، الدار الإفريقية العربية، لبنان(2001م، 1422هـ).
5. عبد الرزاق داوي : في الخطاب عن المثاقفة والهوية الثقافية، مجلة أيس فضاء العقل والحرية، العدد2، دار الصحافة، القبة، الجزائر، السداسي الأول(2007).
6. عبد العزيز الدسوقي: "تطور النقد العربي الحديث في مصر الهيمنة العامة للكتاب" القاهرة" سنة 1977م.
7. عز الدين المناصرة : مقدمة في نظرية المقارنة دار الكرمل للنشر الطبعة الأولى سنة الطبع 1977م، عمان .
8. عشوش مسعود: المثاقفة أبرز آليات حوار الحضارات سنة الطبع 2009م الرياض .
9. عماد عبد الغني: سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، شباط(2006م).
10. الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان(1428هـ، 2008م).
11. كلود لفي شتراوس: في كتابة الإناسة البنيانية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1995م.
12. نصر محمد عارف: الحضارة الثقافية المدنية، دراسات لمسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي و.م أ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، سنة 1995م.

المجلات:

13. مجلة العربي: العدد 15975، 20 مارس، 2012م، ص8. www.alriyadh.com
14. مجلة اليوم: العدد 11021 ، أغسطس 2003 ، ص 05. www.alyaum.com
15. مجلة مقاليد: العدد الثاني، ديسمبر 2011، ص 51. http://diae.net

فهرس الموضوعات

-مقدمـــة.....أ- ب

-تمهـــيد.....**5**

الفصل الأول: المثاقفة وعلاقتها بالأدب

المبحث الأول: مفهوم المثاقفة.....6

أ-لغة.....6

ب-اصطلاحا.....7

المبحث الثاني: علاقة المثاقفة بالأدب.....10

المبحث الثالث: المثاقفة من منظور الهوية.....17

المبحث الرابع: آلية المثاقفة.....19

الفصل الثاني:تطبيقي

المبحث الأول: المثاقفة بين اللغة العربية والدانماركية.....23

المبحث الثاني: تبادل العادات والتقاليد بين العائلة العربية والغربية.....25

المبحث الثالث: تشكيل الهوية الجديدة.....31

-خاتمة.....**47**

المصادر والمراجع.....**50**

الفهرس.....**53**